نظرة إلى الخلف.. خطوتان إلى الأمام

نظرة سريعة إلى ما يجري على الساحة الدولية تؤكد أن الغرب لا يريد أن نفلت من بين يديه، وواقع الحال ان الأمور ليست كما يدعي "صموئيل هنتنغتون" صراع الحضارات، بل صراع الثقافات بما فيها من أطياف الفكر بألوانها المختلفة، بين دنيوية وأخروية، بين يمين وشمال، بين مؤمنين و ملاحدة.

ولكن إذا كان هؤلاء في فرنسا كما ادعت جريدة "فرانس سوار" المهتمة بنشر قصص الفضائح والإباحية يمارسون شعائر حرية التعبير وإذا كانوا يرون من حقهم أن يسخروا من الرسل والأنبياء، فليس من حق أي أحد في الغرب أن يفرضوا نزعتهم الفكرية أو قيمهم الثقافية على الإسلام والمسلمين.

إن أصل البلاء الذي ابتليت به البشرية، كما يقول "رجاء جارودي" في كتابه: "كيف نصنع المستقبل" يعود إلى الثقافات الغربية التي قامت على أساس من الشعور بالتفوق العنصري و إقصاء الآخر،وقد رسم خطا رابطا بين أسطورة "الشعب المختار" في الثقافة اليهودية، وتفوق العرق اليوناني في الثقافة اليونانية، وحاليا الهيمنة الأمريكية.

ويرى "جارودي" أن المشروع العنصري النازي الذي يقوم على مبدأ تفوق الجنس الآري على باقي الأجناس، لم يتم التخلص منه، بل يجري استكماله بواسطة أمريكا بوسائل أخرى، وأن الخلاف بين الفاشية والديموقراطية الغربية هو خلاف في الشكل لا في المضمون، كما يرى أن تاريخ الديموقراطية الغربية ابتداء من ديموقراطية "أثينا" القاصرة على الأسياد هى ديمقراطية زائفة، تفسح الطريق أمام زوال

القيم المعنوية والأخلاقية لصالح قوانين السوق والقيم السلعية، والترويج لقصص وصور تسيء إلى المسلمين.

وإذا كان الغرب يتجاهل عظمة النبي ﷺ ووضعه بالنسبة للمسلمين فنحن نوضح اختصاص المولى عز وجل لسيدنا محمد وقدر منزلة المصطفى وارتباط اسمه باسم الله عز وجل في العبادة: "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وفي أسس العبادة: "بُنى الإسلام على خمس. شهادة ان لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله... الخ" والمسلمون يؤمنون بالوحي وما نزل على صدر النبي:{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ} [الفتح: ٢٩] وقول - الله عز وجل - مخاطبا الرسول:{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤] و:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا} [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦] ومن ينظر إلى الحياة بثرائها وتنوعها سيزاداد ايمانا بأن الله قد قصرها على من أسلم من عباده وآمن، ولذلك فإن المسلمين في شتى مناحي حياتهم يؤثرون التعدد، ومن يتابع أهم القضايا التي طرحت أخيرا على بساط حوار الحضارات يرى أن المسلمين مهمومون بمسألة الاعتراف بواقع التعددية الثقافية وحماية الحق في التنوع الثقافي، وهو الحق الذي أقرته الاتفاقية الدولية لحماية وتعزيز أشكال التعبير الثقافي والفني والتي وافقت عليها منظمة اليونيسكو.

إن التنوع الثقافي مطلب عادل تنادي به الشعوب، وهو قوة يحاول الاتحاد الأوربي أن يستفيد منه لمواجهة التجنيس الثقافي لحركة الأمركة:

"إن ما يميز المملكة الإسلامية عن أوربا النصرانية في القرون الوسطى، أن الأولى يسكنها عدد من معتنقي الأديان الأخرى غير

الإسـلام، ولـيس كـذلك الثانيـة، وأن الكنـائس والبِيَـع ظلـت فـي المملكـة الإسـلامية، كأنهـا خارجـة عـن سـلطان الحكومـة، وكأنهـا لا تكـون جـزءاً مـن المملكـة، معتمـدة فـي ذلـك علـى العهـود ومـا اكسـبتهم مـن حقـوق، وقضـت الضـرورة أن يعـيش اليهـود والنصـارى بجانـب المسـلمين، فأعـان ذلـك علـى خلـق جـو مـن التسـامح لا تعرفـه أوربـا فـي القـرون الوسـطى.. "[1].

هـذا التنـوع والتعـدد الزاهـر تحقـق علـى أيـدي المسـلمين وبـرز ذلـك جليـا فـي تنـوع الثقافـات، وهـو حلـم - الآن - تحـاول الشـعوب أن تعيشـه وتـنعم بـه، ولكـن الإدارة الأمريكيـة ظلـت تقـف ضـده، وهـددت بقطـع علاقاتهـا بهيئـة اليونيسـكو، وبالفعـل اسـتمرت القطيعـة طـوال عشـرين عامـا، وأول مـا فعلتـه ادارة بـوش فـور اسـتئناف عضـويتها هاجمـت مشروع اليونيسكو للتنوع الثقافي ووصفته بالفكرة الرديئة.

فـي اليـوم الأول الـذي عـادت فيـه لعضـوية الهيئـة وقفـت "لـورا بـوش" وفـي حقيبتهـا مبلـغ ٦٢٠ مليـون دولار حصـة الولايـات المتحـدة المقـررة لميزانيـة اليونيسـكو، وقـد اشـترطت - لـدفعها - أن يتخلـى اليونيسـكو عـن مشـروعه الـذي أراد بـه أن يتـوج عقـد حـوار الثقافـات عـام (١٩٨٨ - ١٩٩٨).

ورغـم موقـف الادارة الأمريكيـة فعلـى المسـلمين إبـراز احتفـاء الإسـلام بـالتنوع الثقـافي والمسـاهمة فـي نشـره، ويكفـي كنقطـة انطـلاق مقولـة الامـام علـى بـن أبـي طالـب: النـاس إمـا أخ لـك فـي الـدين أو نظيـر لـك فـي الإنسانية.

---

١ - المرجع: نقلا من ضحى الإسلام. تأليف أحمد أمين، عن كتاب نهضة الإسلام. ترجمة "خدا بخش" من الألمانية إلى الإنجليزية ص٣٤٠.

ولا بد من أجل نجاح حوار الثقافات من تفعيل كافة الجهود التي اتخذت في هذا الشأن، ومنها ما تضمنه الكتاب الأبيض الذي أصدرته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "الايسيسكو" وبيان برلين حول الحوار والتعايش بين الحضارات والثقافات في سنة ٢٠٠٠، وإعلان طهران حول الحوار بين الحضارات في سنة ١٩٩٩، والتنوع في اطار التكامل في ألمانيا سنة ٢٠٠٢، ونداء تونس حول الحوار بين الحضارات في نوفمبر سنة ٢٠٠١، والحوار بين الحضارات من أجل التعايش في (دمشق٢٠٠٢)، والحوار بين الحضارات والثقافات.. الفهم والتفاهم في لينشتناين سنة ٢٠٠٢.

ولا بد لكي لا تعود حادثة الصور المسيئة من بلورة استراتيجية للتصدي لمعاداة الإسلام:

١- تعميق المعرفة المشتركة بين الشمال والجنوب.

٢- تفعيل الحوار الإسلامي - المسيحي.

٣- الانطلاق من التنوع الثقافي.

٤- التأسيس العلمي لظاهرة معاداة الإسلام.

٥- اثراء حركة نشر التراث الإسلامي بعد تنقيته.

٦- التنسيق بين المؤسسات الثقافية والدينية.

* * *

الرسالات السماوية كانت دينية

الإسلام كان دينا وشريعة

عرفت شعوب أمتنا العربية معنى رحلة الغرب إلى الشرق اكتشافا.. غزوا.. استلابا.. تدميرا.. تحديثا، وتحت مرامي وأهداف صليبية وثقافية، وتبشيرية.. برز دور الغرب كمحرك لعجلة التطور والتحديث.

قبل أن يظهر في ثيابه الجديدة، كان التاريخ عرف رحلة الشرقي إلىالغرب كمنارة تهدي من كانت تسدل على حياتهم أستار الظلام، ومن كانوا مستغرقين في وثنية أساطير اليونان والرومان القديمة، حيث تتنامى - حسب طبيعتها - في تشوش عقلي يصل إلى حد الإنفصام الروحي بين الفكر الإنساني والواقع العملي.

ومضى كل منهما في طريق، أخذ الشرق على عاتقه أعباء رحلة التواصل مع الآخرين إستجابة لرسالة الإسلام التي كانت تدعو إلى الانفتاح على الآخر، وأخذ الغرب يقطع الأشواط الاستعمارية لنزح موارد الشعوب والعمل على إمحاء هويتها.

من هذيين الطريقين، طريق الشرق إلى الإنفتاح على طريق الخير والتعاون، وطريق الغرب إلىالسيطرة والاستعمار، بدت ظاهرة التفاعل بين هذين الإتجاهين، تبدو وكأنها تعالج نقيضين لا رابط بينهما، ولا يمكن أن يصلا إلى نتيجة يرضى عنها الطرفان، الأمر الذي يعبر عنه "صموئيل هنتغتون" بمعنى صدام الحضارات.

وهو قول سبقة كلام جاء قريبا من نبرته على لسان شاعر الاستعمار الانجليزي "رديارد كبلنج": "الشرق شرق والغرب غرب ولن

يلتقيا! " ولكن من حقنا ألا نسمح بمثل هذا الكلام ونعتبره القاعدة المحورية في علاقة الشرق بالغرب، وإذا سوغه البعض لعقولنا فسنكون من أهل الجاهلية الأولى الذين كانوا لايؤمنون الا بالأصنام التي ورثوها عن جدودهم.

هذا مع الأخذ في الإعتبار بمجموعة الفوارق البيئية والسيكولوجية والثقافية لكل من الحضارتين العربية والغربية، غير أن المسافات المتابعدة بينهما لم تصب المفكرين المسلمين بنوع من اليأس والجمود في مثابرة على أمل الالتقاء عند خطوط يُرجى الاتفاق حولها.

غير انهم في سعيهم نحو إيصال الجسور ببعضها اكتشفوا أن الغرب يغمط الحضارة العربية والإسلامية حقها ولا يكيل الأمور بموازينها الصحيحة، ثم يتعامى في صلف مدعيا أن حضارة المسلمين لم تكن حضارة ذاتية، بمعنى انها لم تكن تملك جوهرا تقدم به الجديد، وانما عاشت على تعديل، وتشكيل، واقتباس أفكار القدماء، وهو بتجاهله آثارنا الحية في فكره وحضارته قد اختار موقع الدعيّ المغرض الذي لا يعتد المنصفون بكلامه.

فمن الذي لا يذكر أن الرسالات قبل الإسلام كانت دينية بحتة؟.. أما الإسلام فكان دينا وشريعة وضعت للعالمين معالم العدالة الاجتماعية، وسنت القوانين التي جعلتها في خدمة الانسان، لا القوانين التي سخرت الأنسان في خدمة فرد، أو مذهب، أو حزب، أو عشيرة.

ولا يزال الإسلام بعد أكثر من أربعة عشر قرنا يفرض وجوده بصلاحية شرعيته بأبعادها وأعماقها المختلفة على المؤتمرات العلمية والحلقات الدراسية، وفي ذلك يعلن نقيب المحامين في باريس بلد الحرية والديموقراطية: "إن الشريعة الإسلامية لها من العمق،

والأصالة، والدقة، وكثرة التفريع والصلاحية ما يقابل جميع الأحداث".

ومـن الملاحظـات التـي وقـف عنـدها "ديورانـت" فـي "قصـة الحضـارة" صـلاحية الإسـلام الـذي جـاء بـه محمـد ﷺ لمجتمـع دائـم صـلاحية تجمـع بـين الواقع و المثال.

ويلاحـظ العلمـاء المحـدثون منـذ "سـنوك هـوجر ونيـر" ارتبـاط القـانون بالـدين فـي بـلاد الإسـلام، ويـربط الأسـتاذ "أ. فيظـي" بـين النظـام القضـائي فـي الهنـد فـي العصـور الوسـطى وبـين الإسـلام عنـدما كانـت الهنـد العليـا تحت سلطان الملوك المسلمين.

ويعـزو فضـل ذلـك إلـى مـآثر الـدين الحنيـف ومـا قدمـه رسـول الله للإنسـانية جمعـاء مـن خيـر يعلـي قـدرها وينقـل الانسـان مـن حظيـرة الحيـاة البهيمية إلى مصاف الرقي والتحضر.

يقـول "كارليـل" فـي كتابـه "الأبطـال": "لـولا أن محمـدا فيـه صـدق مـا ظفـر بهـذا التحكـيم ويقـول "أرنولـد تونبـي" فـي كتابـه "الـدعوة إلـى الإسـلام" عنـد الحـديث عـن انتشـار الإسـلام بـين مسـيحي إفريقيـة: "لـيس هنـاك شـاهد مـن الشـواهد يـدل علـى أن دخـولهم فـي الإسـلام علـى نطـاق واسـع كـان راجعا إلى اضطهاد أو ضغط".

ويؤكـد "روبـرت بريفانـت" فـي كتابـه "تكـوين الإنسـانية": "لـم يكـن العلـم فقـط باعـث الحيـاة فـي أوربـا، بـل الآثـار العديـدة الأخـرى مـن الحضـارة الإسـلامية أفاضـت اشـراقها الأول علـى حيـاة تلـك القـارة"، وألقـى "لـويس برنـار" فـي كتابـه "الإسـلام يشـرق علـى الغـرب" الضـوء علـى مسـاهمات الإسلام العديدة في تطور الحياة الغربية.

ومـن المعـروف عـن الإسـلام أنـه ديـن الفكـر حتـى يسـمى أهـل الـرأي

"أصحاب النظر" ومن الإجتهادات التي تحسب لـ "أهل النظر" في الإسلام أنهم يصممون على إيجاد إجابة لسؤالهم: الا توجد في حضارة الغرب قيمة إنسانية واحدة تحث مواطنيهم على عقد أواصر عرى الصداقة والأخوة الإنسانيةعبر طريق لا تعرف الصدام؟.. ألم تعد توجد قيمة إنسانية تحث الغرب على التخلي عن أديولوجية المسيحيين الجدد المطعمة بزيف مباديء الصهيونية ودعاة قرع طبول الحرب حتى يخرج الجميع إلى لغة الحوار المتكافئ، ثم من الحوار إلى التلاقي المتكامل، بل والممكن والمنشود؟

لقد ذاقت شعوب الأمة العربية والإسلامية الأمرين على أيدي من يضطهدونها داخليا وخارجيا.. كنا قبيل تفكيك منظومة الكتلة السوفيتية نعول على دول أوربا في نصرة قضايا العرب العادلة ونعتبرها راعية للحرية، غير أن الأيام أسقطت عن وجهها أقنعة المُراء والتدليس، فبان بتقاطيع الملامح الإستعمارية القديمة، وأصبح كل ما يعنيها في الحياة أن تتشبث بأذيال الولايات المتحدة الأمريكية آملة أن تحصل على دور يجعلها قريبة من مستعمراتها القديمة، لذلك فإنها لم تجد أي بأس في لعب دور ذيلي يرضي غرور أمريكا مع تبني وجهة النظر الصهيونية والوقوف إلى جانب القرارات الدولية التي تخدم مصالح إسرائيل.

هذه الصدمات التي تلقتها أمتنا العربية على أيدي أوربا، كانت واحدة منها كفيلة بأن تعيد إلى رؤوسنا العقل وتدفع الأنظمة العربية إلى عدم البحث عن كيانات خارجية تستند عليها في حل مشاكلها وأن تبدأ على الفور في بناء قوتها الذاتية.

لكن على ما يبدو أن مذاق الصفعات قد استمرأه البعض حتى وصل الأمر إلى إلصاق صفة "الخنازير" و "الشياطين" بالعرب، ثم تصاعدت نغمة

السباب حتى طعنت الدين الإسلامي وألحقت برسول الله ﷺ فاحش القول.

وعندما احتشدت المرجعيات الدينية والتفت حول الطاولات لمناقشة ما يسمى بحوار الأديان، سيطرت على بعض الدعاة والمفكرين نظرة تشاؤمية، إذ كانوا يرون أنه لا جدوى من وراء هذه الحوارات طالما أن هناك من يحاور بالمنطق والبراهين، ومن يجلس على الطرف الآخر من طاولة الحوار وهو يقعقع بأصوات الاستعلاء ولغة التفوق النووي، وبغطاء مشبع من تلك الأفكار التي روج لها "صموئيل هنتغتون" مؤلف كتاب "صدام الحضارات" وهو أستاذ علم الحكومات ومدير معهد أولين للدرسات الإستراتيجية في جامعة هارفارد، ومن أفكاره ما هو مؤسس على فريضيات مؤداها " أن الأديان يواجه بعضها البعض بطريقة لا بد أن تؤدي بالضرورة إلى كل أنواع الصراع بما في ذلك الصراعات العنيفة"

ولا ندري لماذا أسقط "هنتغنتون" من حافظته وهو الأكاديمي المخضرم الحملات الصليبية قديما والحملات العسكرية حديثا وكلاهما لم يكن الهدف من ورائهما دينيا بل استعماريا، لأن دين المسيح برئ من كل الجرائم التي ارتكبت في حق شعوب الأمة العربية والإسلامية باسم نشر الحضارة الغربية، مع الإفراط في إظهار جانب التفوق التكنولوجي والعسكري كتعبير يسيطر على عقول القادة الغربيين بأنه يمكن عن طريق القوة صياغة عالم جديد، بعد أن راوحت أساليب الحوار الهادئ مكانها، وأصبحت منعدمة القيمة، بل وتعد من أردية الأزمنة الرثة.

أما العالم البريطاني "جوزيف نيدهام" عميد جامعة كمبردج فله رأي خاص في مسألة الأديان يكاد يقترب من الحقيقة حين يقول:

"إن الإلتزام بدين معين يجعل من الصعب على المؤمن أن يتبين

معاني الحضارات، والديانات الأخرى بشكل أصيل".

ولعل من ينشد الحقيقة، أو معاني الحضارات سيجدها في الدين الإسلامي، إذ إن الإسلام - وحده - آمن وصدق بمعاني وجوهر الديانات السماوية، والإيمان بمانزل على موس وعيسى على الرغم من الصراع الحياتي وما شجر بين الديانتين من اختلاف، جعل بعضها يتنافى مع البعض، فاليهود ينفون المسيحية، والمسيحون الأوائل كانوا ينفون اليهودية، ولم يعد أمام العالم سوى الحقيقة الفريدة الكاملة التي عبر عنها الفيلسوف الألماني "جوته" بقوله:

"إذا كان الإسلام هو التسليم لله فإننا نحيا ونموت في الإسلام"

ذلك الأمر يدفعنا إلى إعادة النظر في أفكار "هنتغنتون" عن الأديان، - والتي حسب زعمه - تؤدي إلى الصراع، فنقول إن الحروب التي تشن على الدول العربية والإسلامية بدءا بالاستعمار الأمريكي لأفغانستان والعراق وتصدي "حزب الله" لجيش العدو الصهيوني حين اجتاح مناطق الجنوب اللبنانية ودمر الألآف من البيوت والجسور ومحطات المياه والكهرباء.. الخ، هل يعد ذلك تعبيرا عن رؤى دينية في يهودية إله الحرب "يهوه" والمسيحية الجديدة في الولايات المتحدة الأمريكية؟

لكوندا ليزا رايس رأي في ما جرى على الأراضي اللبنانية، ومن المعروف أنها لا تعبر عن رأي شخصي بل عن السياسة الخارجية الأمريكية، ففي مستهل شهر أغسطس ٢٠٠٦ خطبت في حشد من الصحافيين وقوات الجيش الصهيوني تجتاح لبنان:

"الآن يولد شرق جديد فبعد سقوط بغداد وإقامة الديموقراطية على أرضها، سوف تنهض دول أخرى ومنها لبنان"

معنى ذلك أن العالم العربي في الخطط العولمية لكي "ينهض" لا بد أن "يسقط" أولا كما سقطت أفغانستان وبغداد من أجل ترسيخ أقدام الولايات المتحدة الأمريكية وتيسير استثمار وجودها المتفوق حول العالم دفاعا عن مصلحتها التي تعتبرها الاستجابة البناءة لمصالح "الجماعة العالمية".

من هذه الأرضية تتمكن الولايات المتحدة الأمريكية من الضغط على الأسرة الدولية لاستصدار قرارت تمكنها من تحقيق مشاريعها الإستعمارية تحت غطاء من الشرعية الدولية، وبذلك تصبح هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن واليونسكو واليونسيف وصندوق البنك الدولي من المنظمات العالمية التي تعمل في خدمة أمريكا وليس من أجل مصلحة الشعوب:

"فمن خلال صندوق البنك الدولي، والمؤسسات الإقتصادية العالمية الأخرى يعمق الغرب مصالحه الإقتصادية ويفرض سياسات اقتصادية على الأمم الأخرى يعتقد أنها ملائمة لها.

ولكن في أي استفتاء للشعوب غير الغربية حول صندوق النقد الدولي سيحصل على نتيجة متدنية جدا من الأغلبية الساحقة الذين يتفقون مع جورج أربائوف لمسؤلي صندوق النقد الدولي بأنهم البلاشفة الجدد الذين يستغلون أموال شعبنا ويفرضون قواعد غربية وغير ديموقراطية للعمل السياسي والإقتصادي وإجهاض الحرية الإقتصادية"[1]".

ومن الأمور المثيرة للإنتباه أن الغرب الذي سرق علماء الأمة العربية والإسلامية وأغراهم بمختبراته العلمية ودولاراته ومع احتفاظه بتفوقه العسكري يسعى دائما للحيلولة دون انتشار السلاح النووي والبيولوجي

١ - المرجع: د. محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر (بيروت مركز درسات الوحدة العربية١٩٩٧ص١٢٥.

والكيميائي حتى لا تصل - بالذات - إلى أيدي العرب والمسلمين.. يكفي ما لدى كوريا الشمالية من أسلحة الدمار الشامل وهو ما يؤرق الولايات المتحدة الأمريكية ويجعلها نهبا للهواجس والقلق.

في عام ١٩٨٨ اعلن الرئيس رفسنجاني بأننا "الإيرانيين يجب أن نتسلح بالأسلحة الهجومية والدفاعية، بإستخدام الأسلحة الكيمائية والبكترولوجية" وصرح نائبه: "حيث أن اسرائيل مستمرة في إمتلاك الأسلحة النووية، نحن المسلمون يجب أن نتعاون في انتاج قنبلة نووية، وبغض النظر عن محاولات الأمم المتحدة منع انتشار الأسلحة النووية".

"ومن المؤكد أن إيران وباكستان طورتا تعاونا عاليا جدا في مجال الطاقة النووية وذلك بتدريب الباكستان لعلماء إيرانيين، وموافقة الباكستان وإيران والصين في نوفمبر ١٩٩٢ للعمل معا على المشروعات النووية"[١]".

خطتان لضربة وقائية وضعتا على مكتب الرئيس جورج بوش، ضربة مباغتة تسدد إلى المفاعل النووي الإيراني، والضربة الثانية توجه ضد كوريا الشمالية.. في أوربا ينبري اليمين المتطرف مطالبا بوش أن يبيد إيران ويضربها كما فعلت أمريكا من قبل مع هيروشيما ونجازاكي.

المحللون السياسيون والإقتصاديون في أوربا يؤكدون أن حاجة بلادهم للحصول على الأموال من خلال بيع الأسلحة والتكنولوجيا تيسر للمجتمعات غير الغربية شراء الخبرة والتقنيات، وقد قلص ذلك نسبيا من جهود الولايات المتحدة بفرض شروط التقيد ببرنامج عدم نشر أسلحة الدمار الشامل، ولكن على الرغم من كل شيء فانها تقف للجمهورية الإسلامية الإيرانية بالذات وتصر على إيقاف تخصيب برنامجها النووي.

---

١ - المرجع: فريد هاليدي، الإسلام وخرافة المواجهة، القاهرة، مكتبة مدبولي ١٩٩٧ص١٣٤.

أمريكا تخاف من حلول الساعة الرهيبة التي يجتمع فيها الإرهاب مع الأسلحة النووية، وهى تضع إيران في مربع الشر، وتدرس في ذات الوقت أوضاعها الداخلية، فلدى إيران الموقع المركزي والجغرافي الممتاز والتقاليد التاريخية والمصادر النفطية، وفيها نسبة كبيرة من السنة وشيعة تدير شؤون الدولة.

وعلى مستوى العلاقات الخارجية نجحت في الحصول على موافقة الصين حين سمحت لها بانتاج الصواريخ الصينية (أرض/أرض) مما سبب المزيد من القلق لكل من اسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، ثم ارتفع نبض المخاوف حين نقلت كوريا الشمالية صواريخ سكود لإيران، وساعدتها في تطوير انتاج المواد العسكرية الخاصة بذلك.

واعتقدت امريكا أنها ستحرز نجاحا فائقا إبان عقد مؤتمر عدم نشر الأسلحة الذرية في ابريل ١٩٩٥، وكانت القضية الأساسية هى: هل يجب تجديد معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية لفترة غير محدودة أو لمدة خمس وعشرين سنة؟

الولايات المتحدة بذلت جهودا جبارة لتكون الفترة غير محددة.. عدد من الدول المشاركة رفضت تبني وجهة النظر الأمريكية إلا إذا تلازم ذلك مع تقليص القدرات النووية للبلدان الخمسة النووية.

وفي ذلك المؤتمر الذي كانت مصر عضوا فيه رفضت الأخذ بوجهة النظر الأمريكية إلا إذا وقعت اسرائيل على اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية وقبلت أعمال لجنة التفتيش.

* * *

إيران نقطة صغيرة في الميزان النووي

يحلم الإيرانيون بتخصيب اليورانيوم كخطوة مهمة على طريق صناعة قنبلة ذرية.. يقول الخبراء في مجال الطاقة: يمكن أن تصنع إيران قنبلة ذرية بعد عشر سنوات بشرط عدم تدخل أمريكا.. المسافة بينها وبين اللحاق باسرائيل تتسع، ولا مجال هنا للمقارنة، ومع ذلك تسيطر الهواجس على اسرائيل.. تخاف من الجدية التي تتناول بها إيران موضوع الحصول على قنبلة نووية.

إنها في أول الطريق،ولكنها تخيف الكيان الصهيوني.. في سبتمبر عام ٢٠٠٢ بلغ عدد المرافق النووية الإيرانية المعلن عنها والخاضعة لتفتيش الوكالة الدولية للطاقة عشرة مرافق تنتشر على امتداد ثلاث مدن: المفاعل البحثي في طهران، ومرفق انتاج النظائر المشعة، في مدينة بوشهر توجد محطة القوي النووية التي بناها الألمان في عهد الشاه وانتهى الروس من استكمال منشآتها وتجهيزها في عهد آيات الله الخوميني، وتوجد في أصفهان ٧ مؤسسات نووية، تتمثل في أربعة مفاعلات تجريبية، مفاعل نيتروني، ومفاعل يعمل بالماء الخفيف، ومفاعل يعمل بالماء الثقيل، اما الرابع الذي يعمل بالجرافيت فقد خرج من الخدمة.

وهناك مختبرات "جابر بن حيان" المتعددة الأغراض، ومصنع "قلاى" لتصنيع أجهزة الطرد المركزي لتخصيب اليورانيوم ومصانع أخري لانتاج الماء الثقيل.

وتحاول الولايات المتحدة مع إيران، بالترهيب تارة والإغراء تارة أخرى أن تثنيها عن استكمال تجاربها، وإزاء اصرار إيران على تطوير برنامجها النووي رفعت أمريكا الأمر إلى وكالة الطاقة الذرية، وحولت خصوصية التجارب من موضوع الوصول للتكنولوجيا العصرية إلى موضوع سياسي ليس مكانه وكالة الطاقة الذرية.

ولكن بكل أسف تحول دور مفتشي وكالة الطاقة الذرية من دور حيادي يقتصر على مراقبة المفاعل واخذ عينات منه وتحليلها وتقديم تقرير بذلك إلى مجلس المحافظين، ثم القيام بدور المحقق لا المحاور الذي يسأل عن أسماء الذين وقعوا صفقات شراء المواد والمعدات الخاصة بعمليات التخصيب والطرد، وتواريخ سفرهم لعقد هذه الصفقات وأرقام جوازاتهم والمبالغ التي كانت تصرف لهم أثناء الذهاب والإياب، وأسماء الذين تعاملوا معهم في الخارج وعناوينهم.

لقد أعاد مفتشو الطاقة الذرية إلى أذهاننا ملامح ذلك الدور الذي لعبه مفتشو البحث عن أدوات الدمار الشامل في العراق قبل وصول قوات المارينز واحتلالها، كل ذلك يجري لإيران؛ لأنها أخطأت وفكرت أن تكون دولة قوية.

المحللون العسكريون في البنتاجون قدموا طرحا لأفكارهم لساسة الادارة الأمريكية.. الإدارة الأمريكية أمست على قناعة تامة بأن تحول إيران نوويا بمثابة ناقوس ينذر بالقضاء على اسرائيل وتصفية النفوذ الأمريكي في منطقة الشرقين الأدنى والأقصى.

في الوقت الذي بدات فيه إيران تقف على عتبات الطريق النووى، والحكومات الغربية تتشبث بعدم نبذ المعايير المزدوجة، ولا تمانع في منح اسرائيل - التي ليست عضوا في معاهدة الحظر وتشكل خطرا على السلم والأمن الدوليين - حق إنتاج وتطوير أسلحة نووية وكيمائية سواء بالصمت أو التواطوء.

بالنسبة للسلاح النووي الإسرائيلي، فقد أعلنت المخابرات المركزية عام ١٩٧٤ عن تمكن اسرائيل من صنع سلاح نووي، وأنها تنفق بسخاء على بناء منظومة صواريخ متوسطة المدي وقادرة على حمل رؤوس نووية، في إطار برنامج كان يسانده شاه إيران محمد رضا بهلوي.

وقبل نهاية القرن العشرين قدر البوفيسور "فرانك بارنابي" المدير السابق للمعهد الدولي للسلام في استكهولم أن اسرائيل تملك ما بين مائة ومائتي قنبلة نووية، ولديها قدرة حمل النووي إلى الأهداف التي تريدها بواسطة الطائرات

والصواريخ والغواصات (من بينها ست غواصات أعطتها ألمانيا هدية لإسرائيل على دفعتين.. الدفعة الأخيرة تسلمتها في نهاية سنة ٢٠٠٦)

وخلال عام ١٩٥٧ أرادت حكومة "جي موليه" أن تنتقم من حكومة الجمهورية العربية المتحدة التي كانت - آنذاك - تساند ثوار الجزائر أيام حرب التحرير، فسارعت بمساندة اسرائيل في بناء مفاعل ديمونة، واشتمل الإتفاق المبرم بينهما عام ١٩٥٧ على إنشاء مركز للبحوث وعمليات البلوتونيوم على عمق ست طوابق تحت الأرض.

البون شاسع والمسافات طويلة بين إسرائيل وإيران.. في عام ١٩٩٥ صرح" وران" وزير الخارجية الأمريكية قائلا: "إيران الآن منهكة في جهود تطوير الأسلحة النووية" ولكن اسرائيل لديها بالفعل ولم توقع على اتفاقية عدم انتشار الأسلحة النووية وأمريكا تساندها في موقفها، ولم تعتبرها دولة مارقة،مع أنها إذا إشتمت أي رائحة لدولة عندها نية لتخصيب مادة اليورانيوم أو أي نوع من هذه المشتقات لا تكف عن شحن الاسطوانات بما تسميه خطر الإرهاب، ونشرها على طول القنوات الفضائية وعرضها لتحذر وتخيف رؤساء الدول من الخطر الأسود الذي بات يتهدد الجميع، وسرعان ما يصدر عن هيئة الأمم المتحدة قرار - تقف وراءه وتتبناه الولايات المتحدة الأمريكية - يتيح لها انشاء قوات التحالف الدولي، ثم يفضي الأمر إلى تنفيذ السيناريو الخاص بخرافة أسلحة الدمار الشامل العراقية والذي أسفر عن احتلالها وتدميرها دون الحصول على ذرة واحدة من عناصر مكونات أسلحة الدمار.

ومما يزيد الطين بلة أن أسلوب الخداع لم يتوقف على لسان بوش، وبعبارات الإبتزاز راح يدغدغ عواطف مواطنيه محاولا ان يربط بينها وبين الحرب التي اشعل أتونها في مدن بغداد، ففي ذكرى حاث سقوط البرجيين خطب في حشد من أهالي ضحايا الحادث يوم ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦ قائلا:

"إن مستقبل الأمن في بلادهم يتعلق الآن بالحرب الدائرة في العراق"

إنه يدمر حضارة الإسلام بحجة تحقيق الأمن والرخاء لبلاده.. الإسلام دائما هو المستهدف في مختلف المعارك التي تشعل أوارها أمريكا، ولكن الحق دائما يرجح كفة الإسلام، ومع تنوع أشكال الحملات التي تشن ضده، فقد أثبت أنه خالد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لذلك أسباب منها أنه لو كان جاء للتعبير عن طموحات العرب فقط لجعل منهم السادة ولجعل من خلق الله عبيدا لهم ولكانت له نظرية كنظرية "التلمود" و"بروتوكلات حكماء صهيون" التي تعتبر اليهود شعب الله المختار خاصة وانهم - العرب واليهود - ساميون، وجدهم إبراهيم عليه السلام.

ولا يظن أحد من رجال اليوم وشبابه أن الهجوم على الإسلام والمسلمين كانا شأنا أمريكيا محضا، فعندما نستحضر التاريخ سيزداد احترام المرء لمقدسات الإسلام خاصة عندما نرى المغول - قبل أن يقدسوا الإسلام - غلاظ القلوب مثل عرب الجاهلية.. ينامون ورؤوسهم على أعناق أحصنتهم.. لا يزرعون أرضا، وانما هم في تجوال دائم:

"وهؤلاء المغول لم يبقوا على أحد، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، وشقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة، وهؤلاء قد ملكوا اكثر المعمور من الأرض.. وأما دياناتهم فأنهم يسجدون للشمس عند طلوعها، ولا يحرمون شيئا فإنهم يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير وغيرها، ولا يعرفون نكاحا، بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال، فإذا جاء الولد لا يعرف أباه"[1].

كانت هذه أخلاقيات المغول، وهى تكاد تكون صورة مما يلقاه مسلمي اليوم على أيدي الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن بعد أن منَّ الله عليهم بهداية الإسلام تحولوا من همج إلى متحضرين، وتحولت بلادهم في الهند إلى حياة التمدن.

"ولم تكن العلوم دون الفنون حظوة في دولتهم، فأنشأوا المدارس، وأقاموا

١ - المرجع: ابن الأثير (الكامل في التاريخ)

المراصد، ولم يبد ملوك المغول حماة للآداب والعلوم وحدها، بل ترى الكثيرين منهم قد حذقوها أيضا"[1]".

ونحن إذا حاولنا أن نستعرض صوراً من النكبات التي جرت في حياة المسلمين على مر الدهور والزمان فسنرى الإسلام كيف كان هدفا للطعن والمؤمرات من جانب الصليبيين في الأندلس بعد أن ظل يؤدي رسالته النورانية نحو ثمانية قرون، ومن المعروف أن الحملة بدأت ضده بدعوى الكاردينال "اكسيمنس" سنة ١٥١١م بإحراق الكتب العربية والمصاحف المحفوظة في ميادين ومكتبات غرناطة، ثم تولت محاكم التفتيش الدينية إبادة كل أثر للمسلمين.

ورغم استعمال أدوات القهر والإبادة وطعنات التتار والصلبيين فقد قامت الدولة العثمانية بفتوحاتها في البلقان حتى وصلت الجيوش الإسلامية إلى أسوار فيينا، ثم بدأت خفافيش الظلام المكونة من علمانيون وملاحدة وماسون يخططون للقضاء على دولة الخلافة العثمانية وينسجون حولها المؤمورات، وأهمها:

"مؤامرة "طرابزون" التي أحبط كل مخططاتها "محمد الفاتح" ولما رأي البابا أن حيله لم تفلح في قتال الأتراك أراد أن يدخل محمد الفاتح في النصرانية، فكتب له بذلك سنة ١٤٦٢م ولما لم يفلح استعان بجمهورية البندقية على قتال الأتراك، وإذاع نداء إلى الحروب المقدسة في ٢٢من اكتوبر سنة ١٤٦٣م، وباع في سبيل ذلك صكوك الغفران لإغراء المسيحين على الحرب، غير أنه توفي قبل أن ينفذ خطته"[2]".

* * *

١ - المرجع: جوستاف لوبون (حضارة الهند) ترجمة عادل زعيتر.

٢ - المرجع: صابر عبد الرحمن طعيمة (الإسلام والثورة الاجتماعية) مكتبة القاهرة الحديثة ط أولى عام ١٩٧٠ ص٤٧٨.

المخاضات الأجنبية الكاذبة

فـي تلـك الأوقـات كانـت روسـيا مهتمـة بالوصـول إلـى الميـاه الدافئـة، وبسـبب عوامـل دينيـة واقتصـادية بلـغ اهتمـام "بطـرس الأكبـر ١٦٢٧ - ١٧٢٥م" بـأن يصـل الجـيش الروسـي إلـى القسـطنطينية والهنـد بقـدر الإمكـان فمـن يملـك القسـطنطينية فقـد ملـك العـالم، بنـاء علـى ذلـك ينبغـي ملازمة الحرب مع العثمانيين"

وفي الفقرة الحادية عشر يقول:

"نشارك النمسا فيما قصدناه من اخراج العثمانيين من أوربا"

أوربـا كانـت دائمـة سـباقة فـي الإعـداد وتجهيـز الحمـلات ضـد مـا يمـت للإسـلام بِصـلة، ومـن كـانوا ينتصـرون للصـليبيين فـي غرناطـة واشـبيلية، تظهر - بعد ذلك - فيالق من جنسهم في روسيا.

ومـا يكـاد العـالم الإسـلامي يهنـأ بفتـرة مـن الدعـة والسـلام حتـى كانـت تهـب عليـه السـموم ففـي القـرن التاسـع عشـر، اسـتولى الـروس علـى بـلاد التركسـتان الإسـلامية، وعلـى القوقـاز، وشـمال إيـران، واسـتعمرت بريطانيـا الهنـد، وتنازلـت إيـران لروسـيا عـن جورجيـا وأرمنيـا سـنة ١٨٢٨م.

وقبيـل تلـك السـنوات اتجهـت بوصـلة الاسـتعمار الغربـي ناحيـة العـالم العربـي، وجهـزت فرنسـا حملتهـا العسـكرية علـى مصـر سـنة ١٧٩٨م، وكـان التـدخل باسـم المطالبـة بالـديون التـي فـتح بابهـا الخـديوي "محمـد سـعيد" والتـي انتهـت بامتيـاز قنـاة السـويس، ثـم بـاحتلال مصـر سـنة ١٨٨٢م، كمـا خضـعت الجزائـر لفرنسـا عـام ١٨٣٠م، وتـونس١٨٨٢، وكـان الإنجليـز دعمـوا نفـوذهم فـي السـودان الـذي أخـلاه المصـريون

(١٨٨٤ - ١٨٨٥) واحتلت انجلترا عدن وما سمى بالمحميات سنة ١٨٣٩، وكذلك احتلت ايطاليا ليبيا سنة ١٩١١م.

وبعد الحرب العالمية الأولى تقرر في مؤتمر "سان ريمو" في مايو سنة ١٩٢٠م الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين والفرنسي على سوريا التي انقسمت إلى سوريا ولبنان، وتقرر إقامة امارة في شرق الأردن تكون خاضعة للإنتداب البريطاني، وبذلك أحكم الاستعمار سيطرته على البلاد العربية.

وبدأت أساليب الاحتلال تمارس أدوارها في ضرب وحدة البلاد، واستقطاب عدد من شرائح المجتمع استعملتهم ليكونوا سواعد في خدمة الاستعمار والتمكين له من طعن وحدة المسلمين والترويج لنشر اللهجات المحلية بهدف القضاء على اللغة العربية ومحاصرة تعاليم الدين الإسلامى في دائرة ضيقة تبعث على التحجر حتى يُنظر اليه بشك واستهجان.

ولكي تكتمل خيوط هذا المخطط جاءت شروط الصلح مع تركيا في مؤتمر "لوران" سنة ١٩٢٣م المعروفة بشروط "كيرزون" الأربعة دليلا على نوايا الإستعمار السيئة ضد الإسلام والمسلمين، وهى:

١- قطع كل صلة بالإسلام.

٢- إلغاء الخلافة الإسلامية.

٣- اخراج أنصار الخلافة والفكرة الإسلامية من البلاد.

٤- اتخاذ دستور مدني بدلا من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام.

إن محاولة تفريغ حضارة عالمية من مضامنيها التي يؤسس

الإسـلام عليهـا أركانـه تبلـورت فكرتهـا وأخـذت شـكلها العملـي حـين سـاعدت فكـرة "مسـئولية الرجـل الأبـيض" فـي تبريـر إمحـاء الآخـر ونفيـه بعيدا عن بلاده، والغاء دستور البلاد المؤسس على مبادي الإسلام.

وعلـى الـرغم مـن إضـطهاد الإسـلام والمسـلمين فـي دول الغـرب، فـإن الانبعـاث الإسـلامي يشـق طريقـه بـين صـفوف الشـباب منـذ سـبعينات القـرن الماضـي، إنهـم يعـودون بطاقـة علميـة تؤكـد حاجـة المجتمـع إلـى بنـاء المؤسسـات الإسـلامية المدعومـة بآليـات التحـديث، وكـان لـذلك اثـره القـوي على الأنظمة العربية والإسلامية:

"ففـي السـبعينات والثمانينيـات انـدفع القـادة السياسـيون فـي تحديـد هويـة نظمهـم و هويـاتهم الشخصـية بالإسـلام، الملـك حسـين عاهـل الأردن، وقـد أدرك أن الحكومـات العلمانيـة لـيس لهـا سـوى مسـتقبل طفيـف فـي العـالم العربـي، تحـدث عـن الحاجـة لخلـق "ديموقراطيـة اسـلامية" و"تحـديث الإسـلام" الملـك الحسـن عاهـل المغـرب أكـد تحـدّر سـلالته مـن الرسـول ودوره "كـأمير للمـؤمنين". وسـلطان برونـي الـذي لـم يعـرف فـي السـابق تمسـكه بالـدين، أصـبح "بشـكل متزايـد مكرسـا" للـدين الإسـلامي، وحـدد نظامـه بأنـه "ملكيـة ماليـة اسـلامية"، بـن علـي فـي تـونس بـدأ بشـكل معتـاد يـدخل اسـم الله فـي خطبـه و"لـفَّ نفسـه فـي العبـاءة الإسـلامية ليكـبح الإقبـال المتزايد على الجماعات الإسلاموية"[1]".

أمـا تركيـا فقـد تنامـت المشـاعر الإسـلامية بـين الشـباب ولكـن القـوى البيروقراطيـة وجماعـة العسـكر ذات التوجهـات العلمانيـة قامـت بشـطب أسـماء مـن طـلاب الأكاديميـة العسـكرية بسـبب الشـك فـي أن لهـم ميـولا

١ - المرجع: نقلا من صموئيل هنتغتون "صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي" ترجمة. د. مالك عبيد أبو شهيوة ود. محمود محمد خلف. الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط أولى ١٩٩٩ص٢٢٤و٢٢٥.

إسلامية، وفي الثمانينيات دعم القادة الأتراك صلتهم العسكرية بالكيان الصهيوني، ولكن حركة "الطريقة" الإسلامية التي كان كمال أتاتورك جمّد نشاطها، وحزب"الرفاه" الأصولي لا يزالان يلعبان دورا بارزا بين صفوف الشباب والمجتمع المدني.

ويلاحظ أنه منذ ظهور العسكريين المحليين في منتصف القرن الماضي والحركات الإسلامية تتسع دوائرها وعيون الرصد بين الجماهير تقمع خطواتها في نفس الوقت، وكأن هؤلاء يتفقون ضمنيا مع وجهة النظر الأمريكية الداعية إلى محاربة ما تطلق عليه اسم الإرهاب.

ومن الأمور المثيرة للأحتقان والإنفجار معا أن الشرق عندما بدأ يفيق من سباته ويستعد عافيته وتتحرر بعض أقطاره من التبعية، وبدأ ينشد النمو الاجتماعي الذي يعتمد في الأساس على ثلاثة مصادر أساسية تكمن في تراكم رأس المال البشري والمادي وكفاءة تخصيص الموارد بين قطاعات الإقتصاد القومي وتحسين الانتاجية، فوجئ بقوي الغرب تتكالب عليه، وقد تملكه الذعر عندما رأى الشرق يسعى لتصويب خطواته، وتظهر في أبنائه أجيال من العلماء والمتفوقين: ما الذي سيكون عليه وجه العالم عندما يمتلك الشرق قوته في المجال الثقافي والفنون؟:

"وماإذا يحدث عندما يصبح الشرق ندا للغرب في مجال العلوم.. أي عندما يمتلك رجال من خارج الغرب تكونوا في ثقافات وديانات بعيدة عن مفهوم الغرب لمسئولية الانسان أمام التاريخ في نهاية الأمر؟.. ماإذا يحدث عندما يمتلك مثل هؤلاء الرجال من تراث مغاير لعلمنا وتكنولوجيتنا (أي للغرب).. ماإذا يحدث في اليوم الذي تمتلك فيه الصين القنبلة أو مصر"[1]".

١ - المرجع: د. أنور عبد الملك (نيدهام: رحلة الغرب إلى الشرق) مقال، جريدة الأهرام ٢٩يونيو ١٩٩٩.

يشـهد الحـال بـأن الولايـات المتحـدة الأمريكيـة يمكـن أن تغفـر وتخفـض البصـر إذا امتلكـت الصـين القنبلـة الذريـة، انمـا تحصـل عليهـا دولـة مسـلمة مثل مصر وإيران فإن الغرب يعتبر أن مسمارا دُق في نعشه.

ولكـن لمـاذا يسـود هـذا التشـاؤم الغـرب؟.. ربمـا لأن تراثـه الأسـود عنـدما يعيـد النظـر فيـه يـرى فصـوله مفعمـة بجـرائم الاسـتعمار مـن سـحل وقتـل ونهـب ثـروات الشـرق.. مـن ثـم لا يـرى المحللـون والاسـتراتيجيون فـي حكومـة بـوش سـوى تصـعيد الحمـلات العسـكرية ضـد إيـران، وقـد أجـاب الـرئيس الإيرانـي نجـادي بقولـه: "أن جـورج بـوش لـن يسـتطيع أن يجبرنـا علـى وقـف برنـامج الطاقـة النوويـة"، ويـرد علـى ذلـك راسـمو خطـط الحـرب فـي "البنتـاجون" بسـؤال آخـر: هـل يقتصـر الأمـر علـى مجـرد ضـربة عسـكرية عـن بعـد لمنشـآت إيـران النووية في أكثر من أربعين موقعا؟.

وتعقب كوندا ليزا ريس على الدمار الذي الحقته اسرائيل بلبنـان قائلـة: "إنـه مخاض مؤلم لشرق أوسط جديد"

ان تجاهلها للمقاومة لا يخفي عن العالم النجاحات التي حققها حـزب الله فـي بسالة لا نظير لها:

"إن انتصـار المقاومة فرض معادلة جديد لتوازن القوى تلعب فيهـا الشـعوب أدوارا محددة قادرة على قلب الموازين، وتحقيق الانتصارات"[١]".

ولكن بوش يصر على الكذب حين يدعي أن جيشه انتصـر فـي العراق وأن جيش اسرائيل انتصر في لبنان، وادعى أنه "تم الآن ولادة الـديمقراطيات الفتيـة في بغداد وبيروت".

---

١ - المرجـع: د. محمـد السـعيد ادريـس (انتصـار المقاومـة وتـوازن القـوى الإقليمـي) جريـدة الأهـرام ٢٣أغسطس٢٠٠٦.

بينما النتيجة الخالصة تؤكد فشل المشروع الأمريكي في العراق.. الديموقراطية المزعومة اغتيلت بالدليل أنه لا صوت الآن في بغداد يعلو على أصوات مذابح الحرب الطائفية.

وفي ضوء اختلاف الغرب في تحديد مفهوم "الشرق" فانه لم يحدث خلاف حول اعتبار الشرق بسكانه هدفا للتجزئة في مخاض قاتل بملامح "المقاومة" الجديدة والمتهمة من قبل الميديا الأمريكية والصهيونية بالذيول التابعة لإيران.

هذه الإتهامات تستهدف القطيعة بين "السنة" و"الشيعة"، ولكن المناضلين على الأرض يدركون أهمية هذه العلاقات المشروعة في سياق حركة النضال من أجل عودة الحقوق العربية، فقضية العرب والمسلمين تحتاج لحلفاء من شتى الطوائف حتى لو كانت لهم مرجعياتهم الأديولوجية.

المهم وحدة المسلمين وعودة فلسطين. وكفانا ما يجري للسنة والشيعة من هلاك ترسم خطوطه العريضة الولايات المتحدة، ولعل الجميع يدركون فحوى تصريحاها خلال الأسبوع الأخير من تصدي المقاومة اللبنانية للجيش الصهيوني فقد رأت في تقويمها للمعارك أن الخسائر الاسرائلية في جنوب لبنان سيوفر دعما معنويا وخبرة قتالية هائلة "يمكن أن تضر بمصالح الأمريكيين أنفسهم في أية معارك محتملة".

القصد إذن عدواني والنية مبيتة على إشعال الحرائق في شتى أنحاء منطقة الشرق الأوسط.. فهل أخذت أمريكا في حساباتها ما يمكن أن تحدثه ردود الأفعال المحتملة من جانب الجمهورية الإسلامية في طهران؟

إن لدى إيران صورايخ باليستية تستطيع أن تصل إلى ربيبة أمريكا المدللة في تل أبيب، ويمكن أن تصل أيضا إلى دول في جنوب أوربا وتنتصر على ١٣٠الف جندي أمريكي متواجدين على أرض العراق.

بالنسبة لحزب الله، فقد رصدت أمريكا حصيلة معاركه مع اسرائيل، وأكدت أنه أطلق ٣٩٩٧صاروخا على شمال اسرائيل، أوقعت ٣٨قتيلا مدنيا من بينهم ١٨قتيلا من فلسطيني عام١٩٤٨، كما سقط في شمال اسرائيل نحو ٥٠٠٠جريح، وأثناء اندلاع القتال أعلن المستوطنون عن رغبتهم في أن تقصف قواتهم المفاعل النووي الإيراني، وأحمد نجادي رئيس إيران يرى أن من حق بلاده أن تملك الذرة وان أسلوب العصا والتهديد بفرض عقوبات عليها لن يثنيها عن موقفها، والولايات المتحدة بدافع الأنانية والرغبة في السيطرة وعدم الرغبة في أن توسع دولة مسلمة افاقها وتحدِّث بالتكنولوجيا أوضاعها الاجتماعية حتى تلحق بركب الحضارة.

هناك قصة تصلح لأن نسوقها في هذا الصدد، وقد وردت في "فهرست العلوم" وهي تتصل بعالم الطبيعة والكمياء "محمد بن زكريا الرازي٨٥٠ - ٩٢٥" وفيها أن عالما صينيا جاء إلى بغداد واتصل بالرازي ومكث في داره سنة يتعلم اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وقد دهش الرازي حين تبين أن العالم الصيني استعمل الاختزال، وهى طريقة لم تكن منتشرة آنذاك، وترجم عن طريقها اعمال الطبيب "جالين" في ١٦مجلدا.

إن القصة تكشف بجلاء أوضاع المسلمين عندما بلغوا أوج الحضارة الإنسانية إذ لم يخفوا ما في عقولهم عن العالمين، ولم يبخلوا بعلومهم، ولم يستعملوها إلا كقوة في انتشار روح التآخي والتلاقح الفكري، الأمر الذي يكشف مغالطات "هنتنغتون" في أن حضارة الغرب - وحدها - هى المؤثرة في كافة الحضارات، وعلى الرغم من ذلك فإن المؤشرات تؤكد أن المآذن سيظل اسم الله يرتفع من فوقها، وإن مستقبل الشعوب رهن بتقدم الإسلام.

* * *